أنموذج تحريريّ

الموضوع :

إنّ قصائد عمر بن أبي ربيعة تطالعنا بصورة مميّزة عن المعشوقة فهي المتعدّدة و السّاعية إلى تحقيق الوصل و التي يتكثّف حضورها ماديّا و نفسيّا و قد وظّف الشّاعر جملة من الوسائل الفنّيّة لرسم ملامح هذه المعشوقة .

حلّل هذا القول مستجليا أهمّ ما يميّز صورة المعشوقة في شعر عمر بن أبي ربيعة و الوسائل الفنّيّة التي توسّلها الشّاعر لرسم معالم هذه الصّورة بالاستناد إلى شواهد دقيقة ممّا درست .

التّحرير :

لقد تنوّعت قصائد الغزل بتنوّع الشّعراء و تنوّع تجاربهم في الحبّ و باختلاف البيئة التي يعيش فيها كلّ شاعر و يتميّز الغزل العمريّ و قد تفاعل مع البيئة الحضريّة بجملة من الخصوصيّات في مستوى كيفيّات القول و المعاني الغزليّة و هذا التّميّز يبرز مثلا في مستوى صورة المعشوقة و قد قيل في هذا الشّأن : << إنّ قصائد عمر بن أبي ربيعة تطالعنا بصورة مميّزة عن المعشوقة فهي المتعدّدة و السّاعية إلى تحقيق الوصل و التي يتكثّف حضورها ماديّا و نفسيّا و قد وظّف الشّاعر جملة من الوسائل الفنّيّة لرسم ملامح هذه المعشوقة >>.

فما هي تفاصيل صورة المعشوقة في شعر عمر ؟ و ما هي الوسائل الفنّيّة الموظّفة من قبله لرسم تفاصيل هذه الصّورة؟

إن قصائد عمر تبرز لنا أكثر من امرأة فنقف على عديد أسماء الأعلام فأحيانا يذكر المرأة باسمها و أحيانا يخفي هويّتها و الأكيد أن عمر ذكر في شعره عديد النسوة و لم يلتزم بذكر امرأة واحدة في كلّ شعره كما هو الحال عند الشعراء العشاق . و عمر لا يذكر حبيبته فقط بل يذكر أيضا صاحباتها و يظهرهن في أبهى صورة كما هو الحال في قوله :

بيضا حسانا خرائدا قطفا يمشين هونا كمشية البقر

و بدت المرأة في شعر عمر ساعية إلى وصله و غنم قلبه و التمتع بلقائه و المرأة لا ترعوي عن القيام بأي أمر للظفر بهذا الحبيب حتى و إن كان ذلك السحر و نرى ذلك في ثنايا البيت الذي يقول فيه :

حدّثوني أنّها لي نفثت عقدا يا حبّذا تلك العقد

كما أن الحرص على الوصل من قبل المرأة نراه من خلال أسلوب الأمر الوارد على لسان الحبيبة حين قالت مخاطبة إحدى رفيقاتها :

قومي تصدي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

فالحبيبة تسعى إلى وصل عمر و إلى لفت انتباهه فدعت إلى استفزازه و استثارة رغباته بأن تغمزه فالمرأة لا يثنيها شيء عن تحقيق الوصل . كما يتجلى طلب الوصل من خلال التمني الوارد على لسان الحبيبة و الذي برز في قول الشاعر :

قلن يسترضينها منيتنا لو أتانا اليوم في سر عمر .

و المرأة في شعر عمر تحضر حضورا ماديا وهو حضور كثيف فالشاعر كثيرا ما يتغنى بالمرأة من زاوية حسية فتبدو الحبيبة شديدة الجمال ساحرة الألباب و من الشواهد على ذلك قول عمر :

غادة يفتر عن أشنبها حين تجلوه أقاح وبرد

فيشير الشاعر إلى جمال مبسم المرأة فيستعير زهر الأقحوان للشفتين و يستعير البرد للأسنان في إشارة إلى نصاعتها .و من تفاصيل الجمال في المرأة يذكر الشاعر الحَوَرَ وهو مؤشّر على جمال العينين فقال:

و لها عينان في طرفيهما حور منها و في الجيد غيد

و التّصوير الحسّيّ للمرأة كثير الحضور في شعر عمر فيظهر معجم الجسد الذي يشكّل علامة على طبيعة الوصف .

و ليست الصّورة الماديّة فقط هي ما يظهر في شعر عمر بل نراه يتناول المرأة من زاوية نفسيّة معنويّة و من ذلك إشارته إلى قوّتها و استبدادها كما في قوله :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد و شفت أنفسنا ممّا تجد

و استبدّت مرّة واحدة إنّما العاجز من لا يستبد

فظهرت هند امرأة قوية متجبرة تتعاطى باستعلاء مع العاشق الذي بدا أمامها متهالكا متصاغرا وهو ما يوحي أن العلاقة بين الطرفين علاقة محبة من طرف واحد فالمرأة سالبة تهجر من يحبها لا بسبب الوشاة و الرقباء أو استجابة لنظام القيم و العادات و التقاليد الاجتماعية بل هي كذلك استخفافا منها بمشاعر العاشق و يبدو استهتارها في قول عمر :

كلما قلت متى ميعادنا ؟ ضحكت هند و قالت بعد غد

فهي تطمعه بالوصل و لا تنيله ما به يطفئ نار حرمانه و شوقه . و يبلغ استهتار المرأة حد عدم الاكتراث بالشعائر الدينية و لا بقدسية المكان فتدعو رفيقاتها إلى استفزاز عمر و لفت انتباهه وهو ما عبر عنه عمر في قوله:

قالت لترب لها تحدّثها لنفسدن الطواف في عمر

قومي تصدّي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر

بل نرى المرأة التي تلهث وراء الرّجل بينما يتمنّع هو في مثل قول شاعرنا :

قالت قد غمزته فأبى ثمّ اسبطرّت تسعى على أثري

و من طريف ما نقف عليه في شعر عمر أن تكون المرأة هي المتغزّلة بالرّجل كما في قول الشّاعر ناقلا ما دار بين النّسوة :

قالت الصّغرى و قد تيّمتها قد عرفناه و هل يخفى القمر ؟

ذا حبيب لم يعرّج دوننـــا ساقه الحين إلينا و القـــــدر

و رضاب المسك من أثوابه مرمر الماء عليه فنضـــــر

كما تبدو المرأة مستسلمة لرغباتها و لشهوة من يحبّها كما في قول عمر :

فقالت و قد لانت و أفرخ روعها كلاك بحفظ ربّك المتكبّر

فأنت أبا الخطّاب غير مدافـــــع عليّ أمير ما مكثت مؤمّر

فبتّ قرير العين أعطيت حاجتي أقبّل فاها في الخلاء فأكثر

فالمرأة في شعر عمر قد قدّم الشّاعر ملامحها الحسّية و النفسية و بدت مميزة في مستوى الصورة التي رسمها لها الشاعر .

إن المرأة في شعر عمر مميزة في مستوى صورتها و هذا التميز من بين ما يشد القارئ إذ ينجذب إلى صورتها الحسّية الرائقة و يستعذب تفاصيل الحركات النفسية في داخلها فأحسن عمر إخراجها في أحسن صورة و هذه الصورة للمرأة في الغزل الحضري تختلف كثيرا عن صورة المرأة في أشعار البدويين إذ نتبين صورة لامرأة خائفة تعيش المحاصرة الاجتماعية في ضوء بيئة بدوية محافظة . فما ملامح صورة المرأة كما تشكّلت في قصائد الغزل عند البدويّين؟

في دارك... إتهنى على قراية إصغارك
www.Tadris.TN 55.635.666 26.222.159